ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

قراءة في تاريخ مدن الغرب الأندلسي
سقوط مدينة قَلُمْرِية (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)

د. شيماء عبد الحميد سعد البنا

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – قسم التاريخ
جامعة دمنهور – جمهورية مصر العربية

مُلَخّصْ

كانت مدينة قلمرية ثالث أكبر مدن البرتغال من حيث الأهمية والمساحة، وتقع في وسط البرتغال، وترجع أصول هذه المدينة للعصور القديمة وهى عصور ما قبل التاريخ؛ حيث كانت النشأة وقد استمدت هذه المدينة معطيات بقائها وبناء مستقبلها من حضارات وثقافات هذه العصور مما خلد ذكراها، وهنا كانت النشأة ثم ترعرعت قلمرية في العصر الإسلامي بعد قيام المسلمين بفتحها. وقبل التطرق للحديث عن قلمرية لابد من تحديد المعالم المميزة لهذه المدينة عن باقي المدن البرتغالية الأخرى وذلك ببيان سماتها الغالبة عليها، فعند التمعن في دراسة المدينة نجد أن الصبغة التجارية هي الغالبة عليها خاصةً طيلة فترة الحكم الإسلامي للمدينة؛ فقد لعبت دورًا هامًا باعتبارها حلقة وصل تجارية بين مسيحي الشمال ومسلمي الجنوب. وبمقارنة النهاية لكل من عصر الخلافة الأموية وعصر الإمارة، في قلمرية نجد أن عصر الخلافة أفضل لأنه انتهى بقلمرية مدينة إسلامية تقع تحت حكم المسلمين وفى نطاق حدودهم، أما عصر الإمارة انتهى بها مدينة مسيحية تقع في حدود وتحت حكم المسيحيين. أما عصر ملوك الطوائف (٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م) بالنسبة لقلمرية فهو أسوأ العصور بالنسبة لها، فقد سقطت المدينة بدون رجعة بقيادة فرناندو الأول (٤٢٦-٤٥٧هـ/ ١٠٣٥- ١٠٦٥م) في عهد المظفر بن الأفطس وبهذا انتهى وجود قلمرية الإسلامية، ومنذ هذه اللحظة أصبحت قلمرية مدينة برتغالية.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٩ يونيو ٢٠١٤
تاريخ قبول النشر: ٢٠ يوليو ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:

عصر الطوائف، بني الأفطس، الفونسو هنريكز، البرتغاليين، المرابطين

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

شيماء عبد الحميد سعد البنا. "قراءة في تاريخ مدن الغرب الأندلسي: سقوط مدينة قَلُمْرِية (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)".- دورية كان التاريخية.- العدد الثاني والثلاثون: يونيو ٢٠١٦. ص١٣٨ – ١٥٠.

مُقَدِّمَة

كانت منطقة الغرب الأندلسي الممتدة إلى أقصى جنوب البرتغال مطموسة المعالم في المؤلفات التاريخية مساوية في ذلك منطقة البرتغال التي كان غرب الأندلس جزء منها، ومن أشهر المدن البرتغالية مدينة الأشبونة (Lisbon) ثم مدينة بورتو (Porto) ثم قلمرية (Coimbra) – محل البحث والدراسة - التي تعتبر ثالث أكبر مدن البرتغال من حيث الأهمية والمساحة، وتقع في وسط البرتغال؛ وأُنشئت قلمرية على جبل مستدير، وهى تقع فوق تل على نهر مندیق (Mondego) الذى يجرى إلى غربيّها، وتكثر عليه الرحيات الطاحنة. وهى من أشهر مدن الغرب الأندلسى وقبل التطرق للحديث عن قلمرية لابد من تحديد المعالم المميزة لهذه المدينة عن باقي المدن البرتغالية الأخرى وذلك ببيان سماتها الغالبة عليها، فعند التمعن في دراسة المدينة نجد أن الصبغة التجارية هي الغالبة عليها خاصةً طيلة فترة الحكم الإسلامي للمدينة؛ فقد لعبت دورًا هامًا باعتبارها حلقة وصل تجارية بين مسيحي الشمال ومسلمي الجنوب.

أولاً: الأحداث الداخلية لمدينة قلمرية في عصر الطوائف (٤٠٠ ـ ٤٨٤هـ/١٠٠٩ ـ ١٠٩١م)

١/١- قلمرية في ظل عصر دولة بني مسلمة المعروفين ببني الأفطس:

قبل أن نتناول الأحوال الداخلية لمدينة قلمرية في عصر الطوائف لابد من توضيح الآتي: أن مدينة قلمرية ظلت في أيدي المسلمين فترة بعد الفتح، ثم استولى عليها النصارى في سنة (٢٦٨هـ/ ٨٧٢م) أي في عصر الإمارة، وظلت بأيدي النصارى فترة طويلة حتى عصر الخلافة الأموية أي حتى سنة (٣٧٨هـ/ ٩٨٧م). واستولى عليها النصارى مرة أخرى في عصر الطوائف (٤٥٦هـ/١٠٦٤م). معنى ذلك أن هذه المدينة عاشت طوال العصور الإسلامية في الأندلس تحت حكم المسيحيين. ولكن ما يجب علينا ذكره في هذا المكان هو أن قلمرية طوال عصر الطوائف حتى سقوطها كانت تتبع ممتلكات مملكة بطليوس. حيث إن نفوذها كان يمتد من منتصف وادي يانة حتى مدينة قلمرية[١] فكان بنو الأفطس[٢] من ملوك الطوائف الذين يحكمون بطليوس، حيث كان جميع الثغر الجوفي بيد بني الأفطس بما فيه مدينة قلمرية في يد رجل من عبيد الحكم المستنصر بالله ويسمى سابور العامري[٣]، فقدر له أن ذاع صيته في ثغر الغرب وتلقب بالحاجب، وأصبح من فتيان المنصور بن أبي عامر، وتولى عملاً إداريًا هامًا في البلاط تحت إشراف فائق الفتى،[٤] وكان من أهم الشخصيات في منطقة غرب الأندلس في عصر الحكم المستنصر،[٥] وهنا تذكر المصادر أنه كان في جميع الثغر الجوفي الذي كانت قلمرية من مدنه، رجل من عبيد الحكم المستنصر يسمى سابور، فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة سيطر سابور على ما كان بيده من مدن غرب الأندلس.

وظلت مدن الغرب تحت سيطرته في ظل الظروف السيئة التي كانت منطقة الغرب تمر بها، ويرجع له فضل في استقرار الأحوال في مدينة قلمرية وغيرها من المدن القريبة منها، وعلى الرغم من ذلك لم يكن سابور بالسياسي البارع الخبير بشئون الدولة الذي يستطيع إنشاء دولة قوية له ولأولاده من بعده، لهذا وجب عليه أن يستوزر رجلاً تتوافر فيه كل هذه الصفات التي كان يفتقدها، فوقعت عينه على عبد الله بن مسلمة (٤١٣/٤٣٧هـ- ١٠٢٢/١٠٤٥م)[٦] إلى أن هلك سابور، واستأثر ابن مسلمة بكل شيء، وحصل على ملك بلاد غرب الأندلس، وسيطر على زمام الأمور في الدولة، ولم يلبث أن دخل في صراع مع ملوك بنى عباد (ملوك اشبيلية) جنوب البلاد، الذين حاولوا أكثر من مرة السيطرة على بعض المدن الغربية وتم ذلك بالفعل فقد سيطر بعض ملوكهم على قلمرية،[٧] وبدأ هذا الصراع بين محمد بن مسلمة مؤسس دولة بنى الأفطس وبين أبى القاسم بن عباد،[٨] واستمر هذا الصراع في عهد أبنائه من بعده مدة طويلة، والسبب في هذا الصراع مدينة باجة التي كانت تابعة للمنصور بن الأفطس بعد ما قام بضمها إلي مملكة بطليوس؛[٩] لقربها الشديد منها، فعلم المنصور بسعي محمد بن عباد لضمها إليه، قاصدًا بذلك أن يجعلها نقطة ارتكاز رئيسة في الغرب ينطلق منها لإخضاع الدويلات الصغيرة المتناثرة في غرب الأندلس لسلطانه، وعندما علم ابن الأفطس بنية ابن عباد بادر بإرسال قوة عسكرية بقيادة ابنه محمد، ونجح محمد في تنفيذ مهمته، فأدي ذلك إلى قيام ابن عباد بالاستعانة بمحمد بن عبد الله البرزالي[١٠] صاحب قرمونة (Carmona)[١١] ومن هنا بدأ بنو عباد يخططون للسيطرة على قلمرية وبدؤوا يسعون لذلك.

ولم يتردد البرزالي في تلبية طلب ابن عباد، إذ كانت تربطه به مصالح مشتركة، فقد كانت قرمونة الحصن الأمامي لإشبيلية من جهة الشرق، كما كان يخشي علي قرمونة من بني حمّود[١٢] بقرطبة، وفي هذا الوقت كانت أحوال مدينة باجة مضطربة بسبب النزاع علي الرئاسة، فاستغّل ابن عباد هذه الفرصة، وأرسل ابنه إسماعيل[١٣] علي رأس حشد من الجند للاستيلاء علي باجة، واشترك معه البرزالي، وقاموا بالهجوم علي باجة. وبالطبع فقد توجهت قوات ابن الافطس للدفاع عنها، وقدم ابن طيفور صاحب مرتلة (Mertola)[١٤] المساعدة له، وقاعدة شلب (Silves)[١٥]، وذلك خوفًا من الضرر الذي قد يقع عليه من سيطرة ابن عباد علي باجة بالنسبة لدولته الصغيرة. وقد دارت معركة عنيفة بين الجانبين انتهت بالغلبة لابن عباد وحليفه البرزالي علي قوات ابن الأفطس، وقد وقع في أسر ابن عباد وحليفه البرزالى عدد كبير من جند ابن الأفطس، وكان من جملة الأسري محمد بن عبد الله بن الأفطس، ولم يلبث أن أطلق سراحه في سنة (٤٢١ هـ/ ١٠٣٠م)، وعاد إلى بطليوس بعد أن اتفقا علي عقد هدنة بينهما، وقام بعدها ابن عباد بالاستعداد لمحاربة مملكة ليون، واتفق مع ابن الأفطس علي سير قواته من بطليوس، وعدم التعرض لها.[١٦]

خرج إسماعيل بن عباد سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٤م) تقريبًا علي رأس قواته إلي مملكة ليون مستغلاً الأوضاع السيئة التي كانت تمر بها المملكة نظرًا للصراع السياسي القائم بين ملوكها، وحاربها، ولكننا لم نعرف السبب الذي كان يسعى إليه ابن عباد في مملكة ليون. وأثناء رجوعه من ليون عزم ابن الأفطس علي أن يتعرض له في طريقه رغم موافقة ابن الأفطس على عبور قوات ابن عباد في أراضيه، إلا أنه قرر أن يَنكَث بوعده ويترصّد له عند عودته: انتقامًا منه في هزيمة باجه، وعندما اعترضته قوات ابن الأفطس فرّ إسماعيل هاربًا إلى الأشبونة تاركًا جيوشه.[١٧] وهكذا انتهى الصراع بين مملكة إشبيليه، ومملكة بطليوس في سنة (٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م) بذلك الكمين الذي نصبه ابن الأفطس لقوات ابن عباد وفرار اسماعيل للأشبونة.[١٨]

وبوفاة القاضي أبي القاسم محمد بن عباد في سنة (٤٣٣هـ/ ١٠٤١م) وضع حد لموقفهم الذي كان علي وشك التفجير مرة أخرى، وبدأت مرحلة أخري من الصراع في عهد المظفر بن الأفطس (٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م – ٤٤٥هـ/ ١٠٦٣م)[١٩]، وأبي عمرو بن عباد، الملقب بالمعتضد بالله[٢٠](٤٣٣- ٤٦١هـ)، وهنا استطاع ملوك بنى عباد ضم قلمرية لهم، فقد استطاع المعتضد بن عباد انتزاع الكثير من دويلات الغرب الأندلسي، منها ولبة[٢١] (Huelva)، وشنتمرية الغرب، كما استولى أيضًا على الكثير من مدن الغرب الأندلسي ومنهم قلمرية.[٢٢]

ومما سبق يتضح لنا: أن قلمرية انتقلت من حكومة المنصور بن الأفطس إلى حكومة المعتضد بن عباد ولكن مهما كان فقد كان وضع

قلمرية أقل سوءًا لأنها انتقلت من تحت حكم مسلم إلى حكم مسلم أيضًا على عكس سقوط المدينة في يد الممالك المسيحية. ولكن السؤال هنا ما هو رد فعل المنصور على انتزاع هذه المدن منه. كان عبد الله بن الأفطس موقفه في منتهى السلبية تجاه سياسة المعتضد التوسعية، حيث إنه كان مشغولاً بتحصين وتجهيز بلاده عسكريًا، ويتضح لنا أيضًا سوء أوضاع مدن الغرب الأندلسي، ومنها قلمرية في الفترة التي تولى فيها المنصور بن الأفطس إمارة بطليوس. ثم توفي المنصور في جمادي الأولى (٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م)، وخلفه محمد بن عبد الله، ولقب بالمظفر(٤٣٧-٤٤٥هـ/١٠٤٥-١٠٦٣م)، وقد استقامت الأمور في عهده، فسار في الحكم سيرة أبيه في العمل علي ضبط النظام، والدفاع عن الثغور، فقد استطاع استرجاع قلمرية وكل المدن الغربية، ولكن حدث أن استمر الصراع بين المظفر بن الأفطس وبني عباد، فقد هجم بنو عباد على قلمرية والمدن الغربية مرة ثانية، وهزم ابن الأفطس في سنة (٤٤٢هـ.١٠٥٠م).

معنى ذلك أن قلمرية خرجت من حدود مملكة بطليوس إلى بني عباد، فتفاقم الحال بينهما الأمر الذي أصاب مملكة بطليوس من تخريب الزروع، وهلاك الأقوات، ونضوب الموارد، ووقوع القحط في كل مدن بطليوس ويرجع السبب في قوة بني عباد هذه إلى مساندة المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة له، وإلى خذلان البربر لابن الأفطس، وعدم تقديمهم المساعدة له، وانتهي الأمر بعقد الصلح بينهما (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) بتدخل من ابن جهور صاحب قرطبة، ولكن ابن عباد بعد هذا الصلح عمل على تنفيذ سياسته التوسُّعية فضمّ لبلة في سنة (٤٤٣هـ/١٠٥١م)، و قد ضم إلى ملكه في أقل من عشرين عامًا سائر الأراضي الممتدة من ضفاف الوادي الكبير شرقًا حتى سواحل المحيط الأطلسي غربًا. وبعدها دخلت مملكة بطليوس في صراع مع ابن ذي النون صاحب طليطلة[٢٣]، وما كاد المظفر يفيق من هذه الأزمات حتى دخل في صراع مع الممالك النصرانية في الشمال.[٢٤]

مما سبق يتضح لنا؛ أن المظفر ابن الأفطس استطاع استرداد مدينة قلمرية من بنى عباد بعد ما استطاع بنو عباد ضمها لحدوده للمرة الثانية، فقد كانوا حريصين على أن يضموا هذه المدينة لهم لموقعها الجذاب ومكانتها العلمية والأدبية والاقتصادية الفريدة من نوعها. ومما يدلل لنا على أن بنى الأفطس استردوا المدينة هي أحداث الفترة القادمة، فعندما سيطر فرناندوا ملك ليون علي قلمرية كانت في يد بنى الأفطس وليس في يد بنى عباد.

ثانيًا: الأحوال الخارجية لمدينة قلمرية منذ عصر دولة بني الأفطس حتى عصر الفونسو هنريكز (٤٥٦-٥٨١هـ/١٠٦٤-١١٨٥م)

١/٢- حملة فرديناند على مدينة قلمرية ٤٥٦هـ/١٠٦٤م وما ترتب عليها:

لم يكد المظفر ينعم بالراحة، بعد هذه الأحداث الداخلية، حتى تعرض لموجة جديدة من الصراع وهم أعداؤه الشماليون والمقصود بهم القشتاليون بقيادة فرديناند الأول بن شانجة (١٠٣٥- ١٠٦٥م/ ٤٢٦-٤٥٧هـ)[٢٥]، وكان هجومه على مدن مملكة بطليوس في ظروف غير مناسبة للمملكة وغير مستعدة بالمرة لأنها استنفذت قواها في حروبها مع اشبيلية وطليطلة، فقد كان هذا الغزو القشتالى في سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)، وكانت أول مشاريع القشتاليين هي مهاجمة أراضى لوزيتانيا (البرتغال) وهى ما يطلق عليها حقول القوط وهاجم قلعة سيا (Cea) واستولى عليها وكذلك بعض القلاع المجاورة، وكانت هذه البداية لسلسلة هجماته في تلك المرحلة، وكان هدف فرديناند هو نقل الحدود إلى مواقع كان الفونسو الثالث (٢٥٢-٢٩٧هـ/٨٦٦-٩٠٩م) وأردون الثاني (٣٠١-٣١٢هـ/٩١٤-٩٢٤م) قد وصلوا إليها؛ حيث إن الفونسو الثالث بسبب انتصاراته على المسلمين استطاع توسيع نطاق حدوده لتصل غربًا إلى نهر المنديق عند كل من قلمرية وبازو في البرتغال، واستطاع أن يستولى عليها فعبر وادى يانة، ووصل بحدود ليون إلى نهر الدويرة، ومدَّ في حدوده شرقًا ليصل إلى نهر بسورجا بقشتالة، كما وسع من حجم قشتالة وأضاف إليها بالامتداد جنوبًا، وكذلك أردون وصل إلى حصن الحنش. معنى ذلك أن حدود مملكتهم وصلت إلى أقصى حد وكان فرديناند يريد ذلك. لم يزل أمر العدو يقوى ويظهر على ملوك ثغور الأندلس إلى أن خرج الطاغية فرديناند ملك الجلالقة بأرض الأندلس بجيوشه النصرانية إلى ثغر المسلمين بأرض الجوف رغبة منه في الانتقام من محمد بن مسلمه بن الأفطس لرفضه دفع الجزية لهم، فعاث في بلاد المسلمين فسادًا، وفتح حصونًا كثيرة حتى قصد مدينة شنترين ولم يتركها فرناندو إلا بعد أن عقد له ابن الأفطس إتاوة قدرها خمسة آلاف دينار يدفعها إليه كل عام.[٢٦]

مع العلم بأن أطراف مملكة بطليوس الغربية والشمالية قد دخلت في صراعات مع نصارى الشمال، وكانت قلمرية تتبع أطراف المملكة الشمالية التي تمتد ما بين نهر التاجة ونهر دويرة، ولم يزل فرناندو الأول يقوى والمسلمون يضعفون حيث إنه كان يراقب أحوال المسلمين لينتهز أية فرصة للهجوم علي هذه المدن، فوجد أطراف مملكته الشمالية الواقعة بين نهر التاجه ونهر دويرة خالية من وسائل الدفاع القوية فاتجهت أنظاره لها واخترقها بقوة واستولى على مدينتي لاميجو (Lamego) وبازو (Visea) لينتقم لمقتل حماه الملك الفونسو الخامس أمام أسوارها سنة (٤١٩هـ/ ١٠٢٨م)، وأسكنوهما بالنصارى، ولم يحاول المسلمون أن يحذوا حذو الممالك النصرانية في محاولة الاتحاد ومجابهة العدو الشرس، بل إنهم أخذوا يسلكون مسلكًا وعرًا خطرًا وهو الاستعانة بملوك النصارى لضرب إخوانهم والاستيلاء على ولاياتهم، وبلا تردد سارع ملوك قشتالة في تقديم المساعدات لهم ليس حبا لهم كما كان يعتقد الأمراء ولكن لامتصاص قوتهم دون أن يخسروا شيئًا، وهذا ما فعله فرناندو ففي الوقت الذي كان يساعد عبد العزيز بن أبى عامر كانت قوات فرناند تساعد ابن هود لمحاربة ابن ذي النون، وهو مستغل هذا في نفس الوقت ليوجه حملاته إلى غرب الأندلس، بذلك لم ينج منه أي أمير مسلم.[٢٧]

ولم تمض بضعة أعوام حتى بعث فرناندو حملة قوية إلى تلك المنطقة الغربية، فسارت قوة من فرسان النصارى جنوبًا إلى مدينة شنترين وكان ابن الأفطس على علم بتحركاتهم، فاستعد لهم بشنترين، وعندما علم النصارى بذلك أرسلوا إليه لعقد هدنة معه على أن يدفع المظفر بن الأفطس لملك قشتالة اتاوة سنوية مقدارها خمسة آلاف دينار،[٢٨] وهنا جاء الدور على مدينة قلمرية التي قد فتحها المنصور بن أبي عامر سنة ٣٧٥هـ، وهكان القشتاليون يخططون للاستيلاء عليها منذ هذا التاريخ أي من حوالي مائة سنة. بيد أن فرناندو قبل الاستيلاء على قلمرية رأى أن يستمد العون والبركة من القديس ياقب، فقصد مزاره بشنت ياقب، وظل هناك ثلاثة أيام في صلوات ودعوات، ثم سار إلى قلمرية ومن ثَمَّ فإن استيلاء فرناندو على قلمرية يعتبر من أهم الأعمال التي قام بها في ختام حكمه، وذلك لمدى أهمية هذه المدينة، فهي أعظم القواعد الإسلامية في شمال غربي الأندلس، وأقوى مدينة في تلك المنطقة- سار إليها في جيش ضخم، وآلات كثيرة للحصار وقلاع خشبية، وعدد كبير من المهندسين لكي يواجه أسوار مدينة قلمرية القوية -فقد قام الرومان ببناء هذه الأسوار ثم قام العرب بترميمها وتقويتها ولذلك هي كانت في منتهى القوة- فقام بمحاصرتها، وكان حصاره يعتمد على تجويع المدينة فكان من الصعب اقتحامها وهي بهذه القوة والحصانة.

وكان قائدها في هذا الوقت عبدًا من عبيد ابن الأفطس يسمى رانده، وكان لديه للدفاع عن المدينة نحو خمسة آلاف جندي، وهناك بعض الأقاويل التي تشير إلى أن المستعرب سسندو (Sisnand Davidez)[٢٩] وهو مستشار فرناندو، وهو أيضًا الخبير بالشئون العربية، أنه الذي أشار عليه بضرورة غزو قلمرية. وقد قال سسنندو "أن تحرير إسبانيا لا يتم إلا عندما تكون قوى الإسلام أضعف فأضعف ولا مال ولا رجال لحروبهم عندما نستولي على الأرض بلا عتاد ولا دماء".[٣٠] هذا إن دل فإنما يدل على مدى قوة المسلمين وضعف المسيحيين أمام هذه القوة وأنهم لم يستطيعوا عمل شيء أمام هذه القوة إلا في حالة ضعفهم. ولكن السؤال هنا من الذي أتى بششلند إلى قلمرية؟ ولعل السبب في ذلك هي تلك الغارة التي قام بها القاضي بن عباد في منطقة قلمرية مثلما أوضحنا من قبل، ونتج عنها أن تم أسر أحد وزراء المعتضد وهو ششلند، وأُخذ إلى اشبيلية وربى مع فتيان القصر حتى تولى المعتضد وقدر مواهبه وعلت مكانته، ولكنه لم يلبث أن تعرض لخصومة بعض رجال البلاط ففر من اشبيلية إلى بلاط فرناندو ملك قشتالة.[٣١]

وبدأ فرناندو حملته على قلمرية بأن سار بنفسه على رأس قواته إلى المدينة وضرب حولها الحصار، واستمر الحصار ستة أشهر والضيق يشتد بالمدينة وأهاليها يومًا بعد يوم، وفي النهاية تعاون راندة مع فرناندو سرًا على أن يخرج من المدينة آمنًا على نفسه وأهله، فأصبحت المدينة بدون قائد يقف لجوارهم، فعرضوا التسليم على أن يُمنحوا الأمان، فرفض فرناندو، واستمر في حصاره للمدينة، حتى نضبت قوى الجيش المحاصر نفسه، وكاد الحصار يرفع. ولكن رهبان دير لورفان (Lorvao) القريب أمدو فرناندو بمؤنهم المخزونة في الجبال، والتي سعد بها الملك فرناندو واعتبرها مساعدة من الله، وهنا ازدادت معنويات جيشه قوة في حين عانت المدينة من الجوع. ونجح فرناندو في إحداث عدة ثغرات في أسوار المدينة، مستخدمًا في حصار المدينة أبراجًا خشبية وآلات متعددة، واضطر قائد المدينة إلى طلب الأمان، واتفق على أن يسمح لأهلها بأن يخرجوا مع نسائهم وأولادهم، تاركين أموالهم للفاتحين، ولكن الجند المدافعين رفضوا هذا الاتفاق، واستمروا هذه المرة أيضًا في دفاعهم عن المدينة، وهنا قال لهم العدو كيف القتال وقائدكم عندنا منذ البارحة، فظلوا صابرين حتى نفذت أقواتهم، وعندئذ اقتحم القشتاليون المدينة عنوة فسلمت المدينة، واعتبر جنودها أسرى وسبايا حتى بلغ عددهم أكثر من خمسة آلاف من رجالها ونسائها تاركين أموالهم ومتاعهم.

وكان هذا سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، فكانت مدة الإسلام بهذه المدينة تسعة وسبعين عامًا. ودخل فرناندو المدينة في موكب مهيب ومعه الملكة دونيا سانشا وعين فرناندو مستشاره سسندو حاكمًا لقلمرية مكافأة له على خدماته له ونصائحه، وعندئذ منحه لقب الكونت أو الوزير، وقد نمت في عهده مدينة قلمرية، حيث إنه نال احترام النصارى والمسلمين على السواء، فأنشئت عدة صروح في المدينة، واستمر يحكم قلمرية إلى أن توفي فردلند، فانتقل ششند إلى خدمة الفونسو السادس وتحت حكم الفونسو السادس علا شأن ششند، فقد تزوج من ابنته وقد نصبه الفونسو على البلاط الملكي قاضيًا عندما شارك مع رجال قلمرية في السيطرة على مدينة طليطلة سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، فكون حكومة استطاعت أن توحد قلمرية والبرتغال حتى توفي في سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م)، عند ذلك خرج السكان المسلمون من سائر الأراضي الواقعة بين نهرى دويرة ونهر منيو وذلك تنفيذًا لخطته في إجلاء المسلمين عن الأراضي المتاخمة لمملكته، وبعد وفاة ششند انتقلت حكومة قلمرية إلى ابنه مارتم مونز (Martim Moniz) وامتد حكمه حتى نهر دويره.[٣٢]

وقد اختلفت المصادر في تاريخ الاستيلاء على المدينة ما بين (٩ يوليو) و(٢٣ يوليو) علمًا بأن بعض المصادر تذكر أنها سقطت في تاريخ (٩ يوليو) مستندة على أن استلام سكان المدينة ودخولها كان في هذا اليوم، أما مَنْ يرى تاريخ (٢٣ يوليو) فعلى أساس أن المدينة استسلمت يوم (٩ يوليو)، ولكن سقوط القلعة في المدينة والاستيلاء الكامل عليها كان في (٢٣ يوليو).[٣٣] مع العلم بأن بعض المصادر قد اختلط عليها الأمر، وذكرت هذا السقوط خطأً، فقد ذكرت أنه في عهد الفونسو السادس سقطت قلمرية على يده، ولكن هذا خطأ لأنها سقطت كما سبق أن ذكرنا في يد فرناندو الأول سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٤م).لأن هذا كان في عهد المظفر بن الأفطس وليس في عهد ولده المتوكل عمر بن الأفطس.

وعلى العموم فقد كان سقوط قلمرية (Cae Coimbra) كارثة على المسلمين، وضربة قوية وجهت إلى الثغر الجوفي، ولكن ما هو مؤسف هو رد فعل المسلمين في المدن المجاورة لقلمرية تجاه هذا

السقوط، فلم يحركوا ساكنًا من أجل إرسال النجدات لمساعدة سكان المدينة، فقد وقفوا مكتوفي الأيدي، ومن ثَمَّ فلم يستطع المسلمون مواجهة جيش فرناندو، وكان رد الفعل الوحيد عندما حضر رانده حاكم المدينة إلى المظفر بن الأفطس بعد خيانته - هذا ما هو عجيب أن يعود هذا الخائن إلى بطليوس ويطلب العفو- فحدث أن وبخه المظفر وأنبه على شنيع عمله، وأمر بقتله بضرب عنقه، نتيجة لتخاذله وخيانته في الدفاع عن المدينة. فكانت مدة بقاء هذه المدينة مع المسلمين حتى هذا السقوط بضعًا وأربعين سنة.[٣٤] ولكن المؤرخين قدروا بقاء المسلمين في المدينة منذ عصر المنصور بن أبي عامر حتى سقوطها في أيدي فرناندو بحوالي بضة وأربعين عامًا، وهذا ليس صحيحًا من ناحيتين الأولى: هي أن المسلمين لم يبدأ تاريخهم بالمدينة منذ عصر المنصور بن أبي عامر في المدينة وهو سنة (٣٧٨هـ/ ٩٨٧م) لأن المسلمين موجودون في المدينة منذ فتحها في سنة (٩٤هـ/٧١٤م). والناحية الثانية أننا لو حسبنا تاريخ المسلمين في قلمرية منذ إرجاع المنصور لها في سنة (٣٧٨هـ/ ٩٨٧م) حتى استيلاء فرناندو عليها في سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) لم يكن أربعين عامًا بل كان حوالي ثمانية وسبعين عامًا.

كانت عملية سقوط قلمرية هي الثمرة الأولى التي انتهت إليها الحملة القشتالية التي استمرت تسع سنوات في هذه المنطقة، وعندما سُيطر عليها أمكن لفرناندو التحكم في الموقف الإستراتيجي مما أتاح له وضع قواته على ضفاف نهر منديق بذلك تكون حدودًا جديدة بينه وبين المسلمين.[٣٥] **ولكن هنا السؤال كيف تحولت قلمرية من بلدة تابعة لملوك قشتالة إلى بلدة برتغالية؟ ومن أين أتت البرتغال؟**

قام فرناندو بالاستيلاء على المساحة الواقعة مابين نهرى دويرة ومنديجو وإلى ما بعد قلمرية، وكان آخر افتتاحه فيها قلمرية ثم جعل من هذه المنطقة ولاية مستقلة باسم البرتغال، بذلك أصبحت قلمرية مدينة برتغالية. وفى سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٤م) قرر الملك الفونسو السادس فصل كونتية البرتغال عن جليقية، وإسناد حكمها إلى هنري البورجونى (٤٨٧-٤٩٠هـ/ ١٠٩٤-١٠٩٧م)[٣٦] كدوطة لزواجه من ابنته غير الشرعية تريزا، على أن تظل البرتغال خاضعة لإشراف كونت جليقية. ففي سنة (٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م) كانت قلمرية والبرتغال تحت حكم هنرى وتريزا،[٣٧] وبعد وفاة الفونسو السادس استقل هنري البورجونى بالبرتغال، واتخذ من مدينة جويمارس (Guimaraes) عاصمة للبرتغال، وبدأ يشن أولى هجماته من قلمرية على بطليوس ونجح في الاستيلاء عليها.[٣٨] مع العلم بأن البرتغال في هذا الوقت كانت تشمل مدن بورتو وبازو ولاميجو ومليق وبراغا وقلمرية وشنترين وشنترة.[٣٩]

كانت مدينة قلمرية موقعًا مهمًا جدالِلنصارى وغزواتهم، كما كانت مدينة مهمة للعبادات المسيحية، ولقد اهتم الملك هنري البرجونى بجماعة الرهبان الكلونيين الفرنسيين، وجعل لهم مكانة بارزة في بلاطه لنفوذهم القوى في إسبانيا، فعين بعضهم أساقفة للمراكز الأسقفية الهامة في البرتغال مثل قلمرية، وبراغا، وبازو، ولاميجو، وأيضًا كانت قلمرية نقطة انطلاق مهمة عسكريًا حيث كان الكونت هنري يخرج منها للقضاء على الحروب ويرجع لها مرة أخرى، فقد خرج على رأس جيشه لمحاصرة الفونسو المحارب وزوجته، ونظرًا لنقص المؤن فك الحصار عنهم ورجع إلى قلمرية.[٤٠] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الأهمية الكبرى التي تتمتع بها قلمرية جغرافيًا، وإقليمًا، وهى معقل مهم وآمن لهم، فهي مدينة من الطراز الأول.

أرسل الفونسو السادس فيبل وفاته إلي ابن الأفطس وابن عباد ليسلمه بعض الحصون، فردوا عليه برسائل شديدة اللهجة، فانتهي بهم الأمر إلي الاستنجاد بالمرابطين، (Almoravides) فقام كل من بني عباد وبني الأفطس بإرسال السفارات إلي المرابطين، وقد لبّى المرابطون نداء أهل الأندلس، وبادر أمير المرابطين وهو الأمير يوسف بن تاشفين (٤٧٩-٥٠٠هـ/ ١٠٨٦-١١٠٦م)[٤١]، وقومه إلى إغاثتهم، وبالفعل دخل المرابطون الأندلس[٤٢]، واشتبكوا مع النصارى في معارك كثيرة انتهت بانتصار المرابطين، ومن أشهر هذه المعارك معركة الزلاقة في سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)،[٤٣] وواصل المرابطون سيرهم بالأندلس، فافتتحوا إشبيلية، مما أدّى إلى رعب وتوجّس المتوكل بن الأفطس من المرابطين، وأحس أن الدائرة سوف تدور عليه،[٤٤] وأن مجيئهم إلى الأندلس ليس بغرض إنقاذهم، ولكن رغبة منهم في الاستيلاء على الأندلس كلها. فإنقاذًا لنفسه ولبلاده عمل المتوكل بن الأفطس على توطيد علاقته بهم، وبالفعل نجح في توثيق علاقته بكبير المرابطين سير بن أبي بكر[٤٥] فاتح إشبيليه وحاكمها، واستمرت هذه العلاقة الودية قائمة ثلاثة أعوام بينهما.[٤٦] لدرجة أن المتوكل توجّه مع سير بن أبي بكر إلى وسط البرتغال مما يلي نهر التاجه وكان يريد استرداد قلمرية – سوف نوضحه بالتفصيل فيما بعد- وفى الوقت نفسه استعان بألفونسو السادس، وهذا ليبعد أنظار المرابطين عن بلاده، وليتأكدوا من ولائه لهم دائمًا؛ فلا يقوموا بأي إغارة على مملكة بطليوس.[٤٧] والتي لم تكن قلمرية تتبعها في هذا التاريخ بل كانت تتبع البرتغال.

كانت هناك محاولات عديدة لاسترجاع مدينة قلمرية لكن للأسف قد فشلت بالكامل؛ فكانت أولى هذه المحاولات هي محاولة سير بن أبي بكر ولكنه فشل في استردادها، فقد استطاعت القوات المرابطية بقيادة سير بن أبي بكر الاستيلاء على مدينة شنترة وشنترين في سنة (٥٠٤هـ/١١١١م)، وليست هذه المدن فقط بل استطاع سير بن أبي بكر أن يفتح جميع بلاد الغرب عدا مدينة قلمرية التي كانت تحت حكم هنري البورجونى بذلك لم يبق أمام المرابطين غير مدينة لاستردادها، وهي قلمرية وكان استردادها مهمًا لهم وذلك لتأمين مدينة بطليوس واتخاذها قاعدة حربية مهمة لهم دون أن يخشوا اعتداء العدو، ففي الوقت الذي كان فيه المرابطون يهددون كل مدن البرتغال كان هنري البرجون عاجزًا عن الدفاع عن هذه المدن لانشغاله بالحرب الأهلية بين الملك (Alfonso I) الفونسو المحارب (٤٩٨-٥٠٨هـ/١١٠٤-١١١٤م)[٤٨] وزوجته أوراكا (Urraca)،[٤٩] ومما زاد الطين بلة قيام سكان قلمرية بالتمرد مما جعله عاجزًا عن صد المرابطين حتى توفى في

سنة (٥٠٥هـ/١١١٢م) تاركًا ابنه الفونسو هنريكز. وعلى الرغم من ذلك لم ترجع قلمرية للمسلمين لأن هنري كان مستقرًا بها دائمًا فكانت محل اهتمام منه أكثر من أي مدينة أخرى. بذلك تكونت مملكة البرتغال، منذ اللحظة الأولى لسيطرة فرناندو على أراضى لوزيتانيا الواقعة بين نهرى دويرة ومنديجو، وأهمها، لاميجو، وبازو، وقلمرية، وكون منها الكونتية.[٥٠]

كانت فترة حكم هنري البورجونى على مدينة قلمرية نقطة تحول كبيرة، فتحولت المدينة من ثغر إسلامي إلى عاصمة مسيحية، كما كانت المدينة مركز استقرار هنري وانطلاقه للغزوات،[٥١] علمًا بأن قلمرية كانت بيد البرتغاليين حتى هذه اللحظة ولم يتمكن المسلمون من افتتاحها. رغم المحاولات العديدة التي حاولت استرجاعها ولكنها فشلت وسوف أوضحها بالتفصيل فيما بعد، وظلت الحالة سيئة في مملكة البرتغال حتى توفى هنري في سنة (٥٠٥هـ/١١١٢م) تاركًا ابنه الفونسو هنريكز[٥٢] فهو الذي أكمل المسيرة بعد أبيه، وهو منبت فكرة تأسيس البرتغال واستقلالها.[٥٣] ومن هنا انتقل حكم قلمرية من هنرى إلى تريزا[٥٤] والدته لأنه كان صغير السن وكانت ترغب في مد حدودها ولكنها لم تستطيع لأن أحوال الممالك المسيحية كانت سيئة للغاية والسبب في ذلك سوء إدارة تريزا فقد كانت متجهة للمنطقة الشمالية ولم تلق بالاً للمنطقة الجنوبية وهى الحدود مع المسلمين ولذلك أغلبية محاولات المسلمين بإرجاع قلمرية كانت في عهدها ولكي تستقر الأحوال بالكونتية قام هنريكز بإبعاد تريزا إلى جليقية، وظلت هناك حتى توفيت سنة (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)، ودفنت بجوار زوجها في كاتدرائية براغا. ولابد من أن ينسب إلى تريزا شيئًا مهمًا قبل أن تنطوى صفحات حكمها للبرتغال ألا وهى التى عَلت من قلمرية المسيحية حاضرة مملكة البرتغال، ولذلك سعى أمير البرتغال بصاحب قلمرية.[٥٥]

وبعد وفاة تريزا ازداد التفاف البرتغاليين حول هنريكز معتمدين عليه في تحقيق آمالهم، ولقبوه بأمير البرتغال.[٥٦] وعرف هنريكز بصاحب قلمرية أو قلنبرية إذ كانت قلمرية عاصمة البرتغال وعرف أيضًا بإبن الرنك أو ابن الريق أى ابن هنرى أو إنريكى وهنريكز معناها ابن هنرى.[٥٧] وبانتصاره علي المسلمين في معركة أرويك (Ourique) سنة (٥٣٣هـ/١١٣٩م) نادي به البرتغاليون ملكًا عليهم وقد اختلف المؤرخيون فيما بينهم حول تاريخ استخدام الفونسو هنريكز لقب ملك، فمنهم مَنْ يرى أن ذلك فى شهر مارس سنة (٥٣٢هـ/١١٣٩م) اسنادًا لوجود وثيقة هبة موقعة من الفونسو هنريكز لصالح دير سانت كروس في قلمرية، وقد ظهر فيها اسم الفونسو لأول مرة مسبوقًا بلقب ملك، وبعض المصادر تشير إلى أنه تلقب بلقب ملك بعد معركة أوريك التى كانت بين الفونسو هنريكز والمرابطين. وقد تم تتويجه في مدينة لاميجو سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م). وهذا النصر قد جعل البرتغاليين يشجعونه على استقلال كونتيتهم تحت قيادته وعلى الرغم من هذا الانتصار إلا أن هنريكز وتواجد البرتغاليين على الحدود لم يكن سيطرة نهائية للبرتغاليين.[٥٨]

كان من أهم الإجراءات التى اتخذت فى عهد الفونسو هنريكز هى نقل العاصمة من مدينة جويمارس القريبة من الحدود إلى قلمرية ليسهل عليه مراقبة المسلمين ونشاطهم فقد أصبحت عاصمة للبرتغال خلال الفترة (١١٣٩م- ١٢٦٠م)،[٥٩] ثم قام بتأسيس قلعة ليريا (Liria) في سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م) على بعد خمسة وسبعين كم جنوب غرب قلمرية لتكون قاعدة أمامية لحراسة قلمرية ضد غزوات المرابطين المتمركزة في شنترين والأشبونة وشنترة، وفى الوقت نفسه يتخذها مركزًا تخرج منه القوات العسكرية لتشن هجومها ضد المسلمين، وقد شحن هنريكز مدينة قلمرية بحامية قوية فأقام في المنطقة المحيطة بها أبراجًا للمراقبة بُنيت على مناطق مرتفعة تشتعل النيران في المواقد المحيطة بها بأعلى البرج فيها إذا ظهرت تجمعات المسلمين عند مرمى البصر فحينئذ يستعد الموجودون في المناطق المجاورة لمواجهتهم وزيادة في الحرص عمل هنريكز على تزويد هذه الأبراج بمراوح نفير للتحذير من اقتراب جيوش المسلمين، وعمل على تقوية القلاع الأخرى مثل قلعة طمان (Thoma)، وقد عانى المسلمون من جراء هذه القلاع كثيرًا لأنها تمثل مراكز مسيحية متقدمة في مواجهة حدودهم.

استطاع المسلمون في هذا الوقت الوصول إلى قلمرية ودخولها فاستطاع المسلمون استرداد قلعة ليريا سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) التي هي من خطوط الدفاع الأولى عن قلمرية وقتل كل حاميتها وأخذ الأسرى إلى مدينة مدينة شنترين فأثبتت ليريا أنها قلعة مهمة جدًا لقلمرية ثم عادوا مسرعين محملين بالغنائم والأسلاب إلى بلادهم، وهذا ما يؤخذ على المسلمين فكانت الفرصة سانحة أمامهم لإرجاع مدنهم بسهولة ويسر ولكنهم اكتفوا بمثل هذه الغارات التي تعتبر غارات استكشافية وبما حصلوا عليه من غنائم وأسلاب. وكان رد فعل هنريكز قوى فقام بإنشاء استحكامات عسكرية على طول الحدود مع المسلمين. واستطاع هنريكز استرد ليريا في سنة (٥٣٧هـ/١١٤٢م). وكان هنريكز في هذا الوقت مقيمًا داخل قلمرية، ولم يكن لديه الوقت الكافي لإنقاذ بلاده، فعمل على ترميم ما قام المسلمون بهدمه وتقوية حدوده، وأنشأ قلعة في سنة (٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) وهى قلعة جيرمانيلو (Germanelo)، وأحضر لها عمالاً من قلمرية، ووضع بها حامية قوية ثم دعا بعض سكانها إلى الإقامة بها. وجمع جيشًا قويًا وعبر الحدود الجنوبية كرد فعل عنيف لغارات المسلمين على أراضيه وهدمهم للقلاع الجنوبية.[٦٠]

وكان لظهور دولة الموحدين بهذا الوقت أثر كبير على تشجيع أهل الأندلس على شق عصا الطاعة على المرابطين، خصوصًا وأن دولة الموحدين قامت أساسًا بناءً على دعوة دينية من المهدي بن تومرت (٤٨٥-٥٢٤هـ/١٠٩٢-١١٣٠هـ)[٦١] ثم تبلورت بعد ذلك لتأخذ الطابع السياسي. فوجدت كثيرًا من الأتباع والمشايعين في المغرب، مما أظهرها

بمظهر القوة، فكانت هزائم المرابطين تتوالى على يد الموحدين حتى وفاة الأمير على بن يوسف في سنة (٥٣٧هـ/ ١١٤٣م)، وقد استمر الأمير تاشفين منذ وفاة أبيه يقاوم ضربات الموحدين حتى قُتل في سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٥م)، وبوفاته سيطر الموحدون على المغرب. فنتج عن ذلك كثرة الثورات والتي بدأت منذ أواخر عهد تاشفين ضد حكم المرابطين في الأندلس بصفة عامة، وفى الجزء الغربي من الأندلس بصفة خاصة اعتبارًا من سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م).

وكان أول هذه الثورات وأهمها ثورة أحمد بن قسي[٦٢] في غرب الأندلس، والتي تميزت بفكرتها الدينية وانضم لها عدد كبير من ولاة غرب الأندلس، ولكن سرعان ما دب الخلاف بينه وبين أتباعه الذين أنهوا الدعوة إلى ابن قسي ودعوا لابن حمدين[٦٣] صاحب قرطبة في سنة (٥٤٠هـ/١١٤٦م)، فبادر ابن قسي بالفرار إلى المغرب للاستنجاد بعبد المؤمن بن علي (٥٤١-٥٥٨هـ/١١٤٦-١١٦٣م) الخليفة الموحدي، الذي سرعان ما استجاب لدعوته وأرسل معه حملة موحديه، استطاعت الاستيلاء على قواعد غرب الأندلس في سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م)، وأصلحت ما بين ابن قسي وأتباعه.[٦٤] كان هذا الصراع المرابطي الموحدي في مصلحة هنريكز، فأخذ يحقق مكاسبه منتهزًا هذه الخلافات، فقام بتحصين وترميم القلاع وتأسيسها على الحدود الجنوبية لمملكته لأنه أدرك عدم كفاية ما تقوم به جماعات الفرسان الداوية والاسبتارية من نشاط حربي لصد غزوات المسلمين. وهذا في سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) عندما انتصر أبو زكريا حاكم شنترين عليهم وهاجم قلعة سور في جنوب قلمرية وأخذ منهم أسرى إلى مدينته. ففهم الملك هنريكز مدى خطورة شنترين على قلمرية فهنا وضع في اعتباره ضرورة السيطرة على شنترين والبداية بها.[٦٥] وبالفعل سيطر عليها خوفًا وحفاظًا على قلمرية أمله الكبير.

كانت قلمرية تلعب دورًا هامًا في عصر هنريكز، فقد كانت دارًا للاستقرار والأمان له طوال فترة حكمه، كما كانت مركز امداد له بالمؤن والجيوش، فقد أعدها من قبل لهذه الأزمات وعند عملية التوسع، كما كانت قاعدة ينطلق منه للقيام بحروبه وتوسعاته، وكان يرجع من خوض معاركه لها لتجهيزه لها بالتحصينات والأسوار والأبراج التي تحميه من ضربات المسلمين القوية. وهنا أصبحت قلمرية مركز خطر على المدن الإسلامية المجاورة لها.

بعد ذلك خرج هنريكز من قلمرية ليستولى على باق مدن الغرب الأندلسى وكان هدفه الأكبر هى مدينة لشبونة ذات الموقع الاستراتيجى والإقتصادى والسياسى الهام، وكانت هذه الفترة من أسوأ الفترات بالنسبة لتاريخ كل مدن الغرب الأندلسى،فقد كان شغل البرتغاليين الشاغل هو السيطرة على كل هذه المدن و قد تم لهم ذلك بنجاح .وبعد ذلك استعان الفونسو هنريكز بفارس مغامر شاب وهو خيرالدو سيمبا فور (Sem Pavor Geraldo) أى خيرالدو الشجاع وتطلق عليه المصادر جرانده الجليقى لكى يستولى على مدن الغرب الأندلسى، فقد كان هذا المغامر ينتقى أشد الأيام برودة وظلامًا لينفذ خطته القائمة على الغدر والتسلل فى الخفاء مستخدمًا لغرضه هذه السلالم المجهزة من العيدان الطويلة لتساعده على تسلق أسوار المدن حتى يتمكن من باب المدينة ويستولى عليها فتمكن بالفعل فى سنة (٥٦٠هـ/١١٦٤م) من مدينة ترجالة (Trujillo) ثم مدينة يابرة (Evora)، ومدينة قاصرش (Caceres) وحصن منتانجش (Montanchez)، فكانت هذه المدن بالنسبة لهنريكز بمثابة القنطرة التى يعبر عليها إلى بطليوس أهم قواعد الغرب فى الأندلس.[٦٦]

موقف المسلمون من ضربات البرتغاليين على مدن الغرب الأندلسي:

عندما رأى المسلمون أن مملكة البرتغال تشكل خطرًا على الإسلام، لأن الفونسو هنريكز أخذ يتحين أي فرصة ليبتلع أي أرض إسلامية خاصة فى غرب الأندلس.فلم يقف المسلمون مكتوفون الأيدي أمام كل هذه الضربات، فقاموا بعمل المنشآت البحرية، ومن أهم المنشآت البحرية التى خدمت فى الدفاع عن ثغور غرب الأندلس قنطرة طريانة لتسهل عبور قوات الموحدون إلى ثغور غرب الأندلس، ولأهميتها في إرسال الإمدادات والسلاح، وغيرها من المنشآت البحرية مثل شنتمرية وشلب وقصر أبى دانس وأشبونة وتم إنشائها في سنة ٥٦٧هـ، وقد حضر الخليفة يوسف افتتاح هذا العمل الهندسى الحربى، وأول مَنْ عبر على هذا الجسر جيوش النجدة المتجه إلى بطليوس التى يهددها العدو من القمح والشعير والآلات والأقوات، كما أمر الخليفة يوسف ببناء دار لصناعة السفن فى اشبيلية وبذلك صارت اشبيلية قاعدة بحرية هامة ذات أسوار حصينة فى عصر الموحدين، كما اهتم الموحدون بالأسوار حيث أنها تمثل وسيلة هامة من وسائل الدفاع خاصة للمدن الساحلية، ولم تكن هذه وظيفة الموحدون فقط بل كانت مهمة كل المسلمون فى المغرب والأندلس على الأسوار والقلاع والقصور والرباطات ذات المناور فى العصر الموحدى للدفاع عن الثغور والمدن الساحلية،وللتصدي لسفن النصارى التى قد تهاجم فجأة هذه المدن الواقعة على ساحل البحر المتوسط أو المحيط الأطلنطى.[٦٧]

وليس هذا كل مافعله المسلمين، فقاموا بإنشاء المدارس لتدريب طلبة بحريين على مستوى عال من قيادة السفن وخوض المعارك البحرية وغيرها من التكتيكات البحرية وأعد لهم الخليفة عبد المؤمن بحيرة لتدريبهم على ذلك، وكان عبد المؤمن بن على (٥٤١ - ٥٥٨هـ/١١٤٦-١١٦٣م) يخص من الحاضرين أبو محمد سيدارى بن وزير الذى يرجع له الفضل فى توضيح الظروف السيئة التى يمر بها غرب الأندلس، فهو الذى أوضح أن دولة البرتغال لاتتوقف عن ضرب الجزء الغربى؛ علمًا بأن بن وزير كان يجيد اللغة القشتالية ولهذا كان له دراية بأحوال اسبانيا.[٦٨] وهو الذى شرح للخليفة عبد المؤمن أحوال المسلمين واقترح عليه تقسيم حملة كبرى إلى أربعة جيوش تتجه إلى أربع جهات أولها قلمرية، والثانية إلى السباط التى تقع شرق قلمرية وهى مملكة ليون، والجيش الثالث إلى طليطلة وهى عاصمة مملكة قشتالة، والجيش الرابع إلى أراجون وبرشلونة، وقد رحب

الخليفة بهذه الخطة وبهذا صنع قوة موحدة مجاهدة من المسلمين فى البر والبحر لغزو الممالك النصرانية، ولكن لسوء حظ المسلمين لم ينفذ هذا المشروع نظرًا لمرض الخليفة عبد المؤمن بن علي، إلى أن توفى فى سنة (٥٥٨هـ/١١٦٣م).[٦٩] مما سبق يتضح لنا؛ أن المسلمين بذلوا قصارى جهدهم فى استرداد مدنهم ولم يفقدوا الأمل فى رجوع هذه المدن ولم يمنعهم عن ذلك غير المرض والوفاة.

وتوفي الفونسو هنريكز بعد رحلته الكبيرة فى شبه الجزيرة الأيبيرية، ووفاته هذه كانت في سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م)، ودفن في دير سانت كروس في مدينة قلمرية، بعدما دام حكمه أربعة وستين عامًا. وهنا رغم انتهاء البحث عند هذه النقطة وهى وفاة الفونسو هنريكز، ولكنى أردت توضيح نقطة فى غاية الأهمية وهى ما هو رد فعل المسلمين على سقوط قلمرية خاصةً أنهم كان لهم دورًا كبيرًا فى استرداد قلمرية وبذلوا قصارى جهدهم لرجوعها لكن هذا لم يتم للأسف، وليس معنى ذلك أن المسلمين كانوا ضعفاء ولكنهم كانوا فى منتهى القوة والدليل على ذلك محاولاتهم الكبيرة التى لم ينساها التاريخ وتحسب لهم لا عليهم، وهنا كان لزامًا علينا توضيح هذه المحاولات:

٢/٢- حملة علي بن يوسف أمير المرابطين على قلمرية سنة (٥١١هـ/١١١٧م):

كانت هذه ثاني محاولات المسلمين لاسترجاع قلمرية، ففي الوقت الذي كان فيه على بن يوسف (٥٠٠-٥٣٣هـ/١١٠٧-١١٣٨م)[٧٠] في مراكش، سار جيش مرابطي بقيادة سير بن أبى بكر اللمتونى والى إشبيلية والقائد العام للجيوش المرابطية في إسبانيا إلى أراضى البرتغال، وفي هذا الوقت كانت مملكة البرتغال تنمو ويشتد ساعدها وكانت عاصمتها قلمرية، فسار سير بن أبى بكر صوب بطليوس، وزحف على يابرة وافتتحها، ثم أشبونة فقد استولى عليها هي وضاحيتها شنترة، وسار بعد ذلك شمالاً واستولى على شنترين، وواصل المرابطون زحفهم إلى مدينة قلمرية، ولم تستطع القوات البرتغالية أن تتدفع القوات المرابطية في سنة (٥٠٤هـ/١١١١م)،[٧١] ولكن الشيء الغريب هنا هو أن على بن يوسف اتجه إلى قلمرية لإرجاعها في حين أن منطقة الثغر الأعلى كانت في خطر أشد، وهو الخطر الداهم على سرقسطة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى أهمية هذه المنطقة للمسلمين وخصوبتها، وحتى هذه اللحظة لم يستطع المرابطون فتح قلمرية. نظرًا لبقاء قلمرية بيد البرتغاليين فأراد علي بن يوسف استردادها لأراضي المسلمين فتحرك، بقواته من عاصمته مراكش في سنة ٥٠١هـ إلى الأندلس لاستردادها، ويسمها روض القرطاس سنبرية وقلمورية، وانضم إليه من قرطبة كثير من الفقهاء والعلماء، ولفيف من المجاهدين خيلاً ورجالاً، كما انضم إليه فقهاء اشبيلية ومجاهدون ومطوعة غرناطة (ثم تحرك أمير المسلمين بجميع العساكر من اشبيلية لغزو قلمورية فحاصروها عشرين يومًا)، فقد ذكر أن أحد قواد المرابطين ويدعى براسيمى (Brasimi) قام بشن هجوم على المدن والقلاع المجاورة لمدينة قلمرية مثل قلعة سورى (Soure) ثم فرض حصارًا على قلمرية دون فائدة منه ويرجع ذلك لشدة مقاومة سكانها وكفاءة قادتها وجنودها[٧٢] ثم انصرفا عنها لإشبيلية مثقلين بالغنائم والأسرى.[٧٣] وكان سبب فشله أيضًا في الاستيلاء عليها لاستدراك كونتيتها الأمر، ومساعدة الجليقيين له، فاضطر على بن يوسف أن يغادرها إلى إشبيلية، وعلى الرغم من ذلك كانت أحوال الممالك المسيحية كانت أكثر سوءًا.[٧٤]

ولعل هناك شيء يدعى إلى الغرابة، وهو تصدى سكان قلمرية للقائد المسلم، لكي لا يتمكن من فتح المدينة رغم أن هذا يكون في صالح المسلمين وهى أصلاً مدينة إسلامية، ولعل هذا يفسر لنا أن غالبية سكان المدينة لم يكونوا من المسلمين، وبذلك يكون غالبية سكان المدينة من المسيحيين، سواء أكانوا مستعربين أم مولدين، ومن مصلحتهم أن تكون المدينة في يد البرتغاليين، لذلك تصدوا للمسلمين، ولو لم يحدث ذلك لتغير التاريخ ورجعت قلمرية للمسلمين مرة أخرى. وأما بالنسبة إلى القائد براسيمى الذى لم نجد عنه شيئًا في المصادر العربية، فمن المؤكد أنه هو علي بن يوسف لأنه هو الذى قاد هذه الحملة من قِبل ولانه هو القائد المسلم الوحيد الذى تزعم الأحداث في تلك الفترة، وهو المعاصر لهذا الحدث.

وتفاصيل ذلك أن علي بن يوسف أمير المرابطين قام على رأس قواته، بغزوة ضد الممالك المسيحية الإسبانية، منتهزًا فرصة اضطراب أمورهم، وقد رأى هذه المرة أن يبدأ هجومه على البرتغال، وقد رأى الأمير علي بن يوسف أن الاستيلاء على البرتغال سيكون سهلاً لانشغال حاكمتها تريزا (Teresa) بالحرب الأهلية، وقد انضمت له قوات كبيرة من المسلمين من قرطبة، وأسند على بن يوسف قيادة جيوشه إلى قائدين من أعظم قادة المرابطين وأقدرهم على القتال: أحدهما عبد الله بن فاطمة،[٧٥] والآخر المنصور بن المتوكل بن الأفطس الذى قد حظى بعفو الأمير بعد رجوعه إلى الحق وإظهار توبته، ودخل في خدمة المرابطين، فعلت مكانته، وارتفعت منزلته لدرجة أن علي بن يوسف جعله أحد قادته الموثوق بهم، فعبرت جيوش المرابطين نهر التاجه ثم توغلت في أراضي البرتغال حتى وصلت إلى مدينة قلمرية وحاصرها وقام بقتل وتخريب وتدمير كثير من القلاع التي تجاورها، وفى مقدمتها قلعة سورى (Soure) والتي تُعَدّ بمثابة خط دفاعي لمدينة قلمرية، وعندما علمت الملكة تريزا بذلك أسرعت في تحصين قلمرية أكثر، واستعانت بحلفائها الجليقيين، وخاصةً الكونت بدرودى ترابا الوصى على الفونسو ريموندين، فأرسل ابنه فرديناند بيريز لمساعدتها، فقد أثخن على بن يوسف في تلك الأنحاء تخريبًا وقتلاً وسبيًا، ودوخ بلاد الشرك بجيوش لا تحصى، وقد استمر حصار المدينة من شهر يوليو إلى شهر أغسطس من سنة ٥١١هـ، وعندما أدرك على بن يوسف صعوبة اقتحام المدينة اضطر إلى فك الحصار وعاد إلى إشبيلية.[٧٦]

وعندما أدرك على بن يوسف صعوبة اقتحام المدينة اضطر إلى فك الحصار المفروض حولها الذي استمر ثلاثة أسابيع تقريبًا، وعاد إلى إشبيلة، غير أن بعض قادة المرابطين قد انفصلوا عن جيشه في طريق عودتهم، وقاموا بشن هجمات ضد بعض قادة القوات

المسيحية، وأحرزوا انتصارا كبيرًا ثم عادوا محملين بالغنائم.[٧٧] ولكن صاحب الحلل الموشية ذكر أن المرابطين فتحوا المدينة فيشير إلى أنه في سنة ٥١١هـ (فتح فيها مدينة قلمرية، ودوخ بلاد الشرك بجيوش لا تحصى، وكان أثره فيها عظيمًا). ولكن هذا الرأي قد جانبه الصواب لأن مدينة قلمرية ظلت بأيدي البرتغاليين، ولم يفتحها المرابطون، والدليل على ذلك تلك الأحداث التالية، وهى قيام الملكة دونيا بمنحها إلى فرديناند لقيامه بحكمها، وأن قلمرية ستظل عاصمة للبرتغال. رغم تأكيد صاحب الحلل الموشية سقوط قلمرية في يد على بن يوسف في هذه الغزوة، وكذلك يؤكد هذا الرأي ابن أبى زرع في روض القرطاس، وقد أخطأ في اسم قلمرية فجعله سنبرية، كما أخطأ في تحديد تاريخ جواز علي بن يوسف إلى قلمرية فجعله سنة (٥١٣هـ/١١١٩م) بدلاً من سنة (٥١١هـ/١١١٧م)، فيقول ابن أبى زرع: "فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمطوعة من العرب، وزناته، والمصامدة، وسائر قبائل البربر... ثم ارتحل إلى مدينة سنبرية، فنزل عليها حتى فتحها عنوة..."، ولكن بناءً على نص ابن عذارى يتضح لنا أن على بن يوسف لم يتمكن من فتح قلمرية، ومع ذلك فربما يكون قد افتتحها وفقًا لرواية ابن أبي زرع وصاحب الحلل الموشية، ولكنه لم يحتفظ بها لمدة طويلة أو احتفظ بها لأيام قلائل، ثم انصرف بعدها لاشبيلية، ويمكننا تفسير سبب إخفاقه في الاستيلاء عليها ببعد قلمرية عن بلاد المسلمين، ووقوعها في قلب بلاد البرتغال.

وهذا الرأي هو أقرب للواقع لأن ابن عذارى ذكر في مواضع أخرى أن على بن يوسف توجه في سنة ٥١١هـ مع المجاهدين والقضاة إلى مدينة قلمورية، وكتب له النصر ولذلك مدحه الشعراء فقال أبو العباس التطيلى عنه:

أركب إذا دارت رحاها وأنزل ... وقل إذا صم صداها وافعل

حتى قال:

نطيت بك الآمال فأقطع ... وهذه الدنيا فول واعزل[٧٨]

ثم عاد على بن يوسف إلى مراكش بعد هذه الأحداث، ونتيجة للجهود الكبيرة التي بذلها فرديناند بيريز في الدفاع عن البرتغال منحته دونيا تريزا حكم مدينتي قلمرية وبورتو.[٧٩] مع العلم بأن فترة حكم على بن يوسف فترة مضطربة؛ فقد كانت كل مدن الغرب الأندلسي مهددة إما من الغزو القشتالى أو الغزو البرتغالي، بالإضافة إلى أنها كانت مجالاً للصراع بين المرابطين والقشتاليين، ففي سنة (٥٢٢هـ/ ١١٢٨م) قام القشتاليون بغزو منطقة الغرب كلها، ولكن تاشفين استطاع قتالهم، وردهم إلى بلادهم مرة أخرى.[٨٠]

وبعد ذلك بعاميين أغار القشتاليون أيضًا على حصن أرنيط[٨١] الواقع في الثغر الأعلى، واستطاع المرابطون أيضًا القضاء على تلك الثورات؛فقد كانت غاراتهم مركزة على منطقة غرب الأندلس، الذى كانت قلمرية من أشهر مدنه، ولكن المرابطين استطاعوا الدفاع عن هذه المناطق وحمايتها. وبذلك سقطت ممالك الطوائف كلها بأيدي المرابطين عدا سرقسطة التي سقطت بعد ذلك بأعوام قلائل، وبذلك أصبحت الأندلس كلها بأيدي سلطان البربر، وغدت ولاية مغربيّة.[٨٢] عدا قلمرية فقد أصبحت مدينة برتغالية، علمًا بأنها أول مدينة إسلامية سقطت في غرب الأندلس. "وطاع جميع ذلك الثغر للمرابطين كأنّه لم يكن قط لغيرهم، وفي أهله وبناته، وجميع ما تركه".[٨٣]

وعلى الرغم من قيام القشتاليين بالإغارة على منطقة الغرب، ورد المرابطين على هذه الغارات، إلا أن أهل الغرب كانوا في حالة ضيق واستياء لفقدهم الأمن والأمان، فقد حانت الفرصة لأهل الغرب عندما قامت دعوة محمد بن تومرت[٨٤] الدينية في المغرب وتهديدها للمرابطين وانشغل المرابطون بهذا الخطر في المغرب عن الأندلس. وقامت الثورات بالغرب الأندلسي، وانتهت بالقضاء على دولة المرابطين، وأصبحت معظم قواعد الغرب الأندلسي بيد الموحدين.[٨٥] من هذا يتضح لنا؛ أنه نظرًا للموقع الجغرافي المميز لقلمرية، فقد تعرضت للكثير من الأطماع، فقد كان هذا الموقع الاستراتيجي نقمة عليها بسبب محاولات الاستيلاء عليها التي نجحت إلى حد ما في بداية الأمر، والتي نجحت كلية في نهاية الأمر.

خاتمة

- يتضح لنا الآن أن مدينة قلمرية هي ميزان القوة في الغرب الأندلسي، فمَنْ أحكم قبضته عليها أمسك بزمام القوة والسيطرة.
- كان معظم سكان مدينة قلمرية من المستعربين والمولدين، وهذا أدّى إلى عدم استقرار الأحوال في المدينة فكثيرًا ما كانوا يقومون بتمرد وعصيان داخل المدينة وجعلوا المدينة مهدّدة داخليًا وخارجيًا، وهذا كان من أهم أسباب فقدانها على مر التاريخ.
- كانت قلمرية تتمتع بالقوة والحصانة، ويشهد لذلك عدم تمكن فرناندوا من الاستيلاء عليها بسهولة رغم توافر كل المساعدات وخيانات من والى المدينة ومساعدات من رهبان دير لورفان وإمدادهم له ولجيشه بالمؤن.
- كانت قلمرية مدينة علمية منذ نشأتها، وأكبر دليل على ذلك وجود أشهر جامعة في العالم بها الآن؛ فلا يوجد بناء بدون أساس والأساس هنا هو اهتمام المسلمين طوال فترة حكمهم بالعلم والكتب والدراسة.
- خلال الأحداث السابقة اتضح للباحثة أن قلمرية مدينة مهمة جدًا للمسلمين والمسيحيين وعاشوا في صراعات كثيرة من أجلها، فما السبب الذي يجعلها مهمة لهذه الدرجة؟ لأن المدينة منطقتها منطقة سيطرة على الشمال والجنوب؛ حيث إنه مَنْ يملك قلمرية كأنه يملك كل شمال وجنوب الغرب الأندلسي.

الهَوامِشُ:

(١) **مملكة بطليوس**: كانت تشمل أراضي البرتغال كلها تقريبًا حتى مدينة باجة في الجنوب، وكانت العاصمة بطليوس، وتتوسط عدة مدن منها ماردة ويابرة وأشبونة وشنترين وشنترة وقلمرية وبازو وغيرها. للمزيد من التفاصيل انظر: عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، الجزء الثالث، ٢٠٠٣. ص٨١-٥٢٣-٥٢٤؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي**، الجزء الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص١٦١.

(٢) **بنو الأفطس**: كان جدهم هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس أصله من قبائل مكناسة؛ ونزل بفحص البلوط من جوف قرطبة. وكان من أهل المعرفة التامة والعقل والسياسة والدهاء. ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س.كولان وليفى بروفنسال، الجزء الثالث، دار الثقافة، بيروت، ص٢٣٦؛ ابن الخطيب السلماني، **تاريخ اسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام فى من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام**، تحقيق ليفى بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١١، ص١٨٢-١٨٣.

(٣) **سابور العامري**: أحد صبيان فائق الخادم، فتى الحكم المستنصر بالله، وتلقب بالمنصور، وهو من الفتية العامرية توفى فى شوال ٤١٣هـ/١٠٢٢م. ابن الآبار القضاعى، **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس،الجزء الثانى،دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٨٥، ص٩٦؛ ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ**، المجلد التاسع، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ص٢٨٨؛ آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨، ص١٤٦.

(٤) **فائق الفتى**: كان رئيس الصقالبة فى بلاط الحكم المستنصر، والخادم الخاص له، ويعرف بفائق النظامين، وهو من مؤيدي المغيرة بن الناصر خليفة الحكم المستنصر ،وعمل على خدمة الحكم، وانتهى أمره بالنفي على يد المنصور بن أبي عامر. ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج٢، ص٢٦٣.

(٥) ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج٢، ص٢٥٣؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**،ج١، ص٣٥٠.

(٦) **عبد الله بن مسلمة**: هو عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس، معناها بنو القرد، أصله من فحص البلوط (Las Perdro)، وهو موضع كانت تسكنه بعض طوائف البربر، فأصله بربري يرجع لبربر مكناسة، لكنه نشأ في الأندلس، وتخلق بأخلاق أهلها، وانتسبوا إلى تجيب، ولهذا مدحه كثير من الشعراء، فقال له:

يا ملكا أمست تجيب به	تحسد قحطان عليه نزار
لولاك لم تشرف مضربها	جل أبو ذر فجلت عفار.

وقد لُقب بالمنصور. راجع: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، المجلد الثامن، ص١٠؛ لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، الجزء الرابع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٤٢.

(٧) ابن عذارى، **البيان**، ج٣، ص٢٠٠-٢٠١؛ أبو مروان بن حيان القرطبي، **نصوص من كتاب المتين**، تحقيق عبد الله محمد جمال الدين، ص١٠٦؛ ابن خلدون، **العبروديوان المبتدأ والخبر**، الجزء الرابع، دار الكتاب اللبناني، ص٣٣٧-٣٣٨؛ عنان، **دولة الطوائف**، ج٣، ص٣٦-٣٧؛ شريفة محمد دحماني، **العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف**، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٦، ص١٤٨-١٤٩.

(٨) **أبو القاسم بن عباد**: هو القاضى أبو القاسم محمد بن ذى الوزارتين ، أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عباد عمر بن أسلم اللخمى، أصله من جند حمص من صقع الشام، لخمى النسب. ابن خاقان (أبو النصر الفتح بن خاقان بن محمد القيسى)، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملمح أهل الأندلس**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ص١٠.

(٩) **مملكة بطليوس**: تجاور مملكة اشبليه من الشمال، وتفضلها عنها جبال الشارات الكبري سيراموينا، وتشتمل على رقعة كبيرة تمتد من غرب مملكة طليطلة حتي المحيط الأطلنطي، وتشمل أراضي البرتغال كلها تقريبًا حتى مدينة باجة في الجنوب، وكانت العاصمة بطليوس، وتتوسط بطليوس عدة مدن منها ماردة ويابرة والاشبونه وشنترين وشنترة وقلمرية وباز وغيرها. للمزيد انظر: محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص٨١؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج١، ص١٦١.

(١٠) قامت دولة بنو برزال في الأندلس في القرن الخامس الهجري، وهى دولة بربرية، وهى بطن من بطون قبيلة زناتة البربرية، وكانوا ينزلون بأرض المسيلة والزاب الأسفل في المغرب الأوسط، وهم كانوا من حاشية جعفر بن على بن حمدون ومن أهل بيته وخصوصيته. ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، ص٤٩٨؛ شريفة محمد عمر دحماني، **العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف**، ص١٢٣٩.

(١١) **قرمونة**: مدينة في الأندلس في الشرق من إشبيلية، وبينها وبين إستجة خمسة وأربعون ميلاً، وهي مدينة كبيرة قديمة، وهي في سفح جبلٍ علها سور حجارة من بنيان الأول كان تثلم في الهدنة، ثم بني في الفتنة، حصينة ممتنعة على المحاربين إلا من جهة المغرب، وارتفاع سورها هناك أربعون حجرًا، وبالذراع ثلاثة وأربعون ذراعا. الحميري، **الروض المعطار فى خبر الأقطار**، تحقيق احسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٤، ص١٠٤؛ حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، الطبعة الأولى، دار المناهل، ٢٠٠٢، ص١٥٢؛ حمدي عبد المنعم، **دولة بنى برزال في قرمونة**، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠م، ص١٠.

(١٢) **بنود حمود**: ينتمون من حيث النشأة، والعصبية، والمصير إلى البربر، وكان الطابع البربري غالبًا عليهم حيث إنهم لم يتكلموا العربية، وإنما يتكلمون اللهجة البربرية. ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، تحقيق حسين مؤنس، ص٢٦؛ محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص٦٥٧.

(١٣) **إسماعيل بن عباد**: قال عنه ابن حيان (إسماعيل بن عباد قاضيهم القديم الولاية ورجل الغرب قاطبة المتصل الرئاسة في الجماعة و الفتنة وكان أيسر مكور بالأندلس وقته ينفق من ماله وغلاته، لم يجمع درهما قط من مال السلطان ولا خدمه، وكان واسع اليد بالمشاركة وكان معلوما بوفور الصقل وبسيوغ العلم و الركانه) أبو مروان بن حيان القرطبي، **من نصوص كتاب المتين**، تحقيق عبد الله محمد جمال الدين، مدريد ١٩٧٧، ص١٠٧.

(١٤) **مرتلة**: مدينة في الأندلس شرقي مدينة باجة، بينهما أربعون ميلاً، وهي على وادي آنة، وبمقربة من شاطئ البحر مرسى هاشم، وهو حصن أولى فيه آثار قديمة، وبه كنيسة عظيمة بنيت في أيام قسليان قيصر الذي بنيت في أيامه كنيسة طليطلة المعروفة بكنيسة الملك، وقيصر هذا أول من نسج في ثيابه وفرشه الذهب، وهو الرابع والثلاثون من القياصرة. الحميري، مصدر سابق، ص١٢٤.

(١٥) **شلب**: من بلاد الأندلس، وهي قاعدة كورة أكشونبة، وهي مدينة بقبلي مدينة ياجة، ولها بسائط فسيحة، وبطائح عريضة؛ ولها جبل عظيم منيف، كثير المسارح والمياه وأكثر ما ينبت فيه شجر التفاح العجيب، يتضوع منه روائح المود. وعليها سور حصين، ولها غلات وجنات، وشرب أهلها من واديها الجاري إليها من جهة جنوبها، وعليه أرحاء البلد، والبحر منها في الغرب على ثلاثة أميالٍ، ، والعود بجبالها كثير، يُحمل منها إلى كل الجهات؛ والمدينة في ذاتها حسنة الهيئة، بديعة البناء، مرتبة الأسواق، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها، وكلامهم بالعربية الفصحى. الإدريسي، **المغرب**، ص١٨٠، ١٧٩؛ الحميري، مصدر سابق، ص٦٩؛ حسين

مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، ١٩٨٦، ص١٥٥، ١٥٢.

(١٦) ابن عذراي المراكشي، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص ٢٠٠، ٢٠١؛ محمد عبد الله عنان، **دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، الجزء الثالث، ص ٣٧، ٣٦.

(١٧) ابن عذراي المراكشي، المصدر السابق، ص ٢٠٠، ٢٠١؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص٣٧، ٣٦.

(١٨) المرجع سابق، ص ٣٧٨ .

(١٩) هو محمد بن عبد الله المظفر، فقد ألف المظفر الكتاب المظفري، نسبة إلي اسمه، فيقول المقري: "كان المظفر أديب ملوك عصره، غير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرائق، و التأليف الفائق، المترجم بالتذكرة، و المشهر اسمه أيضًا بالكتاب المظفري في خمسين مجلدًا، يشتمل علي فنون وعلوم، من مغازٍ وسِيَر، ومثل وخبر، وجميع ما يختص به علم الأدب، توفي المظفر (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧)". ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق احسان عباس، الجزء الثالث، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩، ص٦٤٠؛ المقري، **نفح الطيب**، ج٦، ص٢٠٩؛ انخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص١١٨.

(٢٠) أبو عمرو عباد بن اسماعيل الذى جري علي سنن ابيه في إيثار الإصلاح وحسن التدبير، وبسط العدل مدة يسيرة وكان شهمًا صارمًا حديد القلب شجاع النفس بعيد الهمة ذا دهاء وواتته مع هذا المقادير فلم يزل يعمل في قطع هؤلاء الوزراء واحد بعد واحد، فمنهم مَنْ قتله حيًا ومنهم مَنْ نفاه عن البلاد، ومنهم مَنْ أماته خمولاً وفقرًا إلى أن تم له ما أراده من الاستقلاء بالأمر وتلقب بالمعتضد بالله. ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٣٩-٤٠؛ عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ص١٥١.

(٢١) **ولبة (Huelva)**: هي ثغر بحرًا كبير يقع على شاطئ المحيط الاطلنطى عند مصب نهر أورد يل وهى بيضاوية الرقعة ذات شوارع طويلة، وهى عتيقة الطراز والمظهر وقد سقطت ولبة في يد القشتالين في سنة (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) بعد سقوط اشبيلية بأعوام قلائل. محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، الجزء الثامن، ص٣٨٨-٣٨٩؛ مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص١١٢، ص١١١.

(٢٢) ابن عذارى، **البيان**، ج٣، تحقيق ليفي بروفنسال، ص٢٩٤-٣١٤؛ ابن عنان، **دولة الطوائف**، ج٣، ص٥٨؛ سحر سالم، المرجع السابق، ٣٩٠، ٣٩١.

(٢٣) يعتبر بنو ذي النون من أعظم ملوك طليطلة، وهم يرجعون إلى أصول بربرية، فهم من قبيلة هوارة الذين يخدمون الدولة العامرية. وقد بلغوا في البذخ والكرم غاية عظمى، ولهم الإعذار المشهور الذي يُقال له (الإعذار الذنونى) وبه يضرب المثل عند الأندلسيين. والمأمون بن ذي النون هو الذي عظم ملكه بين ملوك الطوائف، وقد استطاع السيطرة على قرطبة، وملكها من يد ابن عباد المعتمد وقتل ابنه أبا عمرو، وغلب أيضًا على بلنسية، وأخذها من يد بني ابن أبي عامر. النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق أحمد كمال زكى، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الجزء الثالث والعشرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص٤٤٠؛ المقري، **نفح الطيب**، المجلد الأول، ص٤٤٠؛ ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٤٦٥.

(٢٤) سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج١، ص٤١٦.

(٢٥) **فرناندو الأول**: بعد وفاة شانسو (شانجة) الملقب بالكبير، أصبح ولده الثاني فرناندو الأول ملكًا لقشتالة، وبعدها بعامين أصبح ملكًا على ليون وجليقية وأشتوريس وما يليها، فاستطاع توسيع حدود مملكته توسيعًا كبيرًا، وأصبح من أقوى ملوك إسبانيا، ولقب بالكبير (El Magno) وكان يسمى نفسه بالإمبراطور، وبالعظيم أيضًا، وهو أعظم ملوك إسبانيا النصرانية، وقام بشن غاراته المدمرة على دويلات الطوائف في الثغر الأعلى والجوفي. ابن عذارى، **البيان**، ج٣، ص٢٣٨-٣٨٦؛ يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة محمد عبد الله عنان، الجزء الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص١١؛عنان، مرجع سابق،ج٣، ص٨١-٨٦؛ رينهرت دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الجزء الثاني، ص٤٠؛ شريفة محمد عمر دحماني، **العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف**، ص٢٣٧؛
Carlos Estepa Diez, El Reinado De Alfonso VI ,P.19.

(٢٦) ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٣٨؛ حنان عبد الهادي الكتاتني، **صفحات في تاريخ الأندلس**، ص٧١.

(٢٧) عبد الجليل عبد الرضا الراشد، "**الحالة السياسية في الأندلس في عهد دويلات الطوائف**"، مجلة المورد، العدد (١٢)، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ص٦٠.

(٢٨) ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٣٨؛ عنان، **دولة الطوائف**، ص٨١-٨٦؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج٢، ص٩-١٥؛ محمد النشار، **دراسات في تاريخ اسبانيا والبرتغال**، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٧، ص١٨-١٩.

(٢٩) **ششلند**: هو سلندودافيدس من أشهر الشخصيات في هذه الفترة، فقد أسر وهو صغير في غزوة القاضى ابن عباد ضد ابن الأفطس، وربى في بلاط ابن عباد وأعجب به المعتضد، وأسر حدثًا في غارة قام بها القاضى ابن عباد في منطقة قلمرية، ثم أخذ إلى اشبيلية وربى مع فتيان القصر، ولما تولى المعتضد قدر مواهبه؛ فقد كان من وزرائه، واستخدم في السفارات بينه وبين الملك فرديناند ثم ما لبث أن انضم إلى بلاط الملك القشتالى، والذى قربه منه لمعرفته باللغة العربية وأحوال المسلمين، وكان دائم النصح له لكونه وأصله من شمال البرتغال والذى اشتهر في قصور الطوائف، وحكم قلمرية بكفاءة ونال احترام النصارى والمسلمين على السواء، وكان يلقب بالوزير على النمط الإسلامي، وتوفى في سنة ١٠٩١م. ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، م٤، ص١٦٥-١٦٦؛ محمد عنان، **دولة الطوائف منذ قيام قيامها حتى الفتح المرابطى**، ج٣، ص٥٨-٣٨٥؛ النشار، **دراسات في تاريخ اسبانيا والبرتغال**، ص٣٠.

(٣٠) عبد الله ناصري طاهري، "**نظرة حول انهيار دولة المسلمين في الأندلس**"، مجلة العلوم الإنسانية الدولية الجمهورية الإسلامية الإيرانية، العدد (٢)، ص٩٦.

(٣١) ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، المجلد الأول، القسم الرابع، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة بيروت، ص٦٤٣؛ عنان، **دولة الطوائف**،ج٣، ص٥٨.

(٣٢) ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٣٨، ابن الخطيب السلمانى، **أعمال الأعلام**، تحقيق ليفي بروفنسال، ص١٨٤؛ عنان، **دولة الطوائف**، ج٣، ص٣٨٤،٨٧-٣٨٦.؛ أحمد مختار العبادي، "**تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشيال نصان جديدان**"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد (١٣)، ص٧٦؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**،ج١، ص٤٢٢-٤٢٥؛
H.V.Livermore; ATraveller, s History. Portugal, Boydell Press,2004,P.12;
Richard A Fletcher;Moorich Spain ,Unviversity of California,2006,P.110;
CUP Archive, Ahistory of Portugal,P.41.

(٣٣) النشار، **تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى**، ص٣٢.

(٣٤) ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٣٩؛ حسن موسى الشاعر، **خطاب المارديّ ومنهجه في النحو**، الجزء الأول، ص١٠٨؛ عنان، **دولة الطوائف**، ج٣، ص٨٧؛ النشار، **تاريخ اسبانيا**، ص٣٣.

(٣٥) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٨٤؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج١، ص٤٢٣.

Novedades y Rectificaciones; Historia Musulimana De Valencia y su Region, ayuntamiento de Valencia, 1969, P.137-138; Afif Turk; El Reino de Zaragoza en siglo XI de Cristo, Madrid, 1978, P.89.

(٣٦) يرجع نسب الكونت هنرى إلى ملوك فرنسا، حيث أنه حفيد روبرت الثانى ملك فرنسا (٩٩٦-١٠٣٤) وجده المباشر روبرت دوق بورجونيا (١٠٣٢-١٠٣٧) وإنه الابن الثاني من أربعة أبناء للدوق هنرى. النشار، **تأسيس مملكة البرتغال**، ص٦٤.

(37) The Rosen Publishing Group; Portugal and Spain, Britannica, 2014, P.49.

(٣٨) لمزيد من التفاصيل، انظر: سحر سالم، **مظاهر الحضارة**، ص٦١٧.

(٣٩) النشار، **تأسيس مملكة البرتغال**، ص٣٨-٣٩.

(٤٠) النشار، **تأسيس مملكة البرتغال**، ص٤٥.

(٤١) **يوسف بن تاشفين**: هو موحد المغرب، وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، فذكر المؤرخون أنّه كان بطلاً شجاعًا، جوادًا كريمًا، زاهدًا في زينة الدنيا، عادلاً متورعًا، متقشفًا، يأكل من عمل يده، عزيز النفس، كثير الخوف من الله. قال المراكشي عنه: "إن قلوب أهل الأندلس أشربت حب يوسف وأصحابه"، وقال ابن خلكان: "إنّه كان ضابطًا لأمور مملكته ومصالحها، مؤثرًا لأهل العلم والدين، كثير المشورة لهم، وهو نحيف الجسم، خفيف العارضين، رقيق الصوت، أكحل العينين، وكان ملكه من أول بلاد الإفرنج شرق بلاد الأندلس إلى آخر عمل الأشبونة على البحر المحيط من بلاد غرب الأندلس، وهو أول مَنْ تسمى بأمير المسلمين. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق احسان عباس، الجزء السابع، دار الثقافة، بيروت، ص١١٢؛ أبو الحسن علي بن عبد الله أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب روض القرطاس**، تحقيق كارل يوحنا، أربسالة، بدار الطباعة المدرسية، ١٨٩٣م، ٨٧؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام**، تحقيق ليفى بروفنسال، ص٢٤٦-٢٤٧؛ حامد محمد خليفة، **يوسف بن تاشفين**، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق،٢٠٠٣، ص٥.

(٤٢) محمد بن عبود، **مباحث فى التاريخ الأندلسى ومصادره**، سلسلة المعتمد بن عباد للتاريخ الأندلسى ومصادره، ١٩٨٩، ص١٥٧؛ محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ج٣، ص٣١٨، سحر سالم، المرجع السابق، ص٣٦.

(٤٣) **معركة الزلاقة**: وفيها قام المعتمد بن عباد بجمع جيشه وأقبل أمير المسلمين بعساكره. واجتمعوا كلهم في إشبيلية وكان معهم أيضًا من أهل قرطبة أربعة ألاف فارس وراجل وجاء المسلمون من بلاد الأندلس من كل بلد وحصن، واتصلت الأخبار بالأذفونش، فخرج من طليطلة في أربعين ألف فارس، وكتب إلى يوسف كتابًا يصف فيه ما عنده من العدد والقوة، فرد عليه بجواب يدل على مدى عزيمته فسار المعتمد بن عباد وأمير المسلمين بالعساكر في موضع يقال له الزلاقة من بلد بطليوس، وآتى الأذفونش فكان بينه وبين المسلمين ثمانية عشر ميلاً، وكان ابن عباد في المقدمة وعساكر يوسف وراء جبل حتى يتراء للأذفونش هذا العدد القليل من المسلمين وهذا ما حدث وتم الاتفاق بينهما على أن القتال يوم الاثنين، ولكن اذفونش هجم على المعتمد يوم الجمعة فقتل عدد كبير من المسلمين، وأشرفوا على الانهزام فقام ابن عباد بإرسال رسالة إلى ابن تاشفين، فقام بهزيمة الأذفونش وعساكره وهرب إلى طليطلة ومعه سبعة فوارس ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غير ثلاثمائة نفر، وكانت هذه الوقعة يوم الجمعة، وأصاب المعتمد فيها بجرح في وجهه، ولكن المسلمين غنموا من أموال الفرنج مالاً كثيرًا، وأحرقوا رؤوس القتلى، وعاد المعتمد إلى اشبيلية، وأمير المسلمين إلى مراكش. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص١٠٠،١٠١؛ النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الجزء الثالث والعشرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص٤٥٧-٤٥٨؛ **وفيات الأعيان**، مصدر سابق، ج٧، ص١١٧؛ المراكشي، مصدر سابق، ص٦٠.

(٤٤) سحر سالم، مرجع سابق، ج٢، ص١٢٧.

(٤٥) **سير بن أبي بكر**: كان سير بن أبي بكر من أبرز زعماء لمتونة وقادتها، وهو قريب أمير المسلمين بالمصاهرة، ولقد ظهر نبوغه العسكري وبراعته الحربية في معركة الزلاقة سنة (٤٧٩هـ) وفى جواز أمير المسلمين إلى الأندلس، وعهد إليه بإخضاع ممالك الطوائف في غرب الأندلس ثقة بكفاءته وإخلاصه، وبالفعل افتتح قواعد الغرب حتى مدينة أشبونة وقلمرية، فحمى الثغور من اعتداءات النصارى، وانتصر على الفونسو السادس عندما حاول الهجوم على اشبيلية، وتوفى سنة ٥٠٧هـ. المراكشي، مصدر سابق، ص٦٠-٦١؛ السلاوى(أحمد بن خالد الناصري)، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، الجزء الأول، د.ت، ص١١١ ؛ ابن الكردبوس (أبو مروان عبدالملك)، **نص تاريخ الأندلس**، ص١٠٦؛ محمد عبد الله عنان، **دولة الطوائف**، ج ٣، ص ٣١٨؛ حامد محمد خليفة، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٤٦) سحر سالم، مرجع سابق، ج٢، ص١٢٧.

(٤٧) يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس**، ص٨٩؛ سحر سالم، المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٤٨) **الفونسو الأول** (المحارب) ابن ردمير ولد في سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م)، وهو الابن الثاني من الزواج الثاني للملك سانشو راميرث، وكانت أمه فيليسيا دى روكى الأميرة الفرنسية، وكان حكام روكي أجداد الفونسو الأول من ناحية الأم، وتربى الفونسو فى دير القديس بطره دى سيرسا وهناك تلقى ثقافته الأولى. أما تعليمه الحربى والسياسى كان على يد مؤدبه لوب جارسيز، وأطلق عليه المحارب نتيجة المعارك الكثيرة التي خاضها ضد المسلمين والمسيحين. لمزيد من التفاصيل، انظر: ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج٤، ص٤٢-٤٣؛ نادية مرسى صالح، **العلاقات الإسلامية المسيحية في إسبانيا**، ص١٢١- ١١٧.

(٤٩) فقد حكمت هذه الملكة سبع عشرة سنة، وهذا لم يكن مسبوق أن امرأة تحكم مدة طويلة كهذه.

Bernard. F. Reilly., op.cit., p.IX.

(٥٠) عنان، ج٥، ص٢٦-٣٧؛ سحر سالم، **مظاهر الحضارة في بطليوس الإسلامية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الاسكندرية، ١٩٨٧، ص٦١٧-٦٢٠؛ النشار، **تأسيس البرتغال**، ص٣٥-٥٣.

(٥١) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص١٠٥؛ عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ص١٤٦-١٤٧؛ محمد عبد الله عنان، **عصر المرابطين**، ص٧٠-٧١؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج٢، ص١٥٠-١٥١.

(٥٢) **الفونسو هنريكز** هو ابن الكونت هنرى والكونتيسة تريزا (Teresa)، فقد كان حاكم نشط وقوى وهجومي وأيضًا كان حاكم مكافح، فهو الذي حارب قشتالة لكي يحمى حدوده في الشمال والغرب، وحارب المسلمين في الجنوب لدفعهم خارج حدود البرتغال، وهو ابن الريق وتسميه المصادر ابن الرنك أو صاحب قلمرية أي صاحب البرتغال لأن قلمرية كانت عاصمة البرتغال. عبد الملك بن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧، ص٩٦؛

Bailey wallys diffie, Boydc Shafer, George Davison, foundations of the portugueses empire 1415-1580, 1977, pp.13-14 .

(٥٣) انظر: محمد عبد الله عنان، **عصر المرابطين**، ص٧٠؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج٢، ص١٥٠؛ النشار، **تأسيس مملكة البرتغال**، ص٣٣-٦٦.

(٥٤) **تريزا**: أو تريسا هي ابنة الفونسو السادس، وقد تزوجت من هنري البرجوني الذى قدم مع ريمون البرجوني من فرنسا، وهو زوج ابنة الفونسو السادس الثانية دونيا أوراكة. وقد استغل هنرى البورجونى فرصة إغفال المرابطين عن الدفاع عن المنطقة البرتغالية، وبادر بتوجيه بعض الحملات على بلاد المسلمين في الغرب، وتمكن من السيطرة على ابرة بقوة السلاح. سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج٢، ص١٤٨.

(٥٥) عنان، **عصر المرابطين**، ج٤، ص٥٢٤.

(56) Cronica Des Godos., Apendice Brandao, Cronica De Conde D. Henrique, D. Teresa E Infante D. Alfonso Porto 1944, P. 268;

النشار، **تأسيس مملكة البرتغال**، ص٣٣-٦٦.

(٥٧) عنان، **دولة المرابطين**، ص٥٢٨.

(٥٨) أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج١، ص٢٥٧-٢٦٣؛ أحمد الجمال، **دولة الموحدين في عهد أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، الإسكندرية ١٩٩٨م، ص١٦٢؛

Bailey Wallys Diffie; op. cit.p14.

(59) Trudy Ring, Noelle Watson, Pauls CHellinger, Southern Europe International Dictioary of Historic Places, 2013, P.151.

(60) Jose M. Valente; Soldiers and Settlers: The Knights Templar in Portugal, 1128-1319, UNIVERSITY OF CALIFORNIA, 2002, P.80.

النشار، **تأسيس البرتغال**، ص١٣٠-١٣٩.

(٦١) **محمد بن عبد الله بن تومرت** المصمودي البربري مهدى الموحدين، وهو من المصامدة من قبيلة من جبل السوس في المغرب الأقصى، وقد ولد ونشأ في قبيلته، ورحل للمشرق لطلب العلم، فانتهى إلى العراق وحج بمكة. انظر: ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٧٦؛ عنان، **عصر المرابطين**، ص١٥٩-١٦٠.

(٦٢) هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسى من شلب في جنوب البرتغال، وهو مولدًا يرجع إلى أصل نصرانى واشتغل في بداية حياته بالأعمال المخزنية ثم اعتنق الصوفية وتبحر فيها حتى غدا من شيوخها ثم ألف طائفة من الكتب منها كتاب خلع النعلين، وقد باع ماله وتصدق بثمنه وساح في البلاد، وتسمى بالإمام. ابن الآبار، **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، ج٢، ص١٩٧؛ عنان، **عصر المرابطين**، ص٣٠٧.

(٦٣) هو الفقيه أبو جعفر حمدين بن محمد بن على بن محمد بن حمدين، ولى قضاء الجماعة بقرطبة ثم صرف عنه، وعاد له مرة أخرى إلى أن أعلن ثورته في سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) على حكم المرابطين استجابة لثورة ابن قسى في غرب الأندلس وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله، واستقربه المطاف في مالقة حتى توفى سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م). ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٠٤-٢١١؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج٢، ص١٧٥.

(٦٤) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ص١٩٩؛ محمد عبد الله عنان، **عصر المرابطين**، ص٣٠٧-٣١١؛ النشار، **تأسيس البرتغال**، ١٣٩-١٥٥؛ سيف الإسلام أحمد السمان، **مدينة باجة في العصر الإسلامي**، رسالة ماجستير غير منشورة، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص٨٣-٩٠.

(65) Jose M. Valente; Soldiers and Settlers: The Knights Templar in Portugal, P. 80-84.

(٦٦) سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج٢، ص٢٠٠.

(٦٧) حليم أحمد ابراهيم عبد اللطيف الشيخ، **البحرية الإسلامية في غربي البحر المتوسط في عصر دولة الموحدين**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٩، ص٩٤-٩٥-١٧٣

(٦٨) حليم أحمد ابراهيم عبد اللطيف الشيخ، **البحرية الإسلامية**، ص٤٢٦.

(٦٩) حليم أحمد ابراهيم عبد اللطيف الشيخ، **البحرية الإسلامية**، ص٤٢٦-٤٢٧.

(٧٠) **على بن يوسف**: هو ابن يوسف بن تاشفين، يكنى بأبي الحسن، أمه أم ولد، كان أبيض اللون خفيف العارضين، أكحل العينين، تسمى بأمير المؤمنين، تولى الحكم بعد وفاة أبيه، وكان شابًا مكتمل التكوين عند خلافته لوالده في نحو الخمس والثلاثين من عمره، وكان متدربًا على شئون الحكم والحرب وسياسة الدولة في أيام أبيه، وكان يتركه أبيوه في الأمور التي تحتاج لهمة وعزيمة وذكاء، وسار على نهج أبيه أيضًا في طريقة الحكم. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٤٧؛ ابن عذارى، **البيان**، ج٤، ص٤٨؛ ابن أبى زرع الفاسي، **روض القرطاس**، ص١٠٢.

(٧١) لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، المجلد الرابع، ص٤٥؛ عنان، **عصر المرابطين**، ج٤، ص٦٩-٧٠.

(٧٢) النشار، **تأسيس البرتغال**، ص٥٢.

(٧٣) فيقول ابن أبى زرع وصاحب الحلل الموشية أن الأمير على ربما يكون قد افتتح قلمرية ولكنه لم يحتفظ بها لمدة طويلة، ثم انصرف عنها لإشبيلية. ابن عذارى، **البيان**، ج٤، تحقيق، احسان عباس، ص٦٤؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج٢، ص١٥٢.

(74) Herculano., Historia De Portugal, Vol 3, Lisboa, 1983, 7; السلاوى، **الاستقصاء**، ج٢، ص٦١؛ ابن عذارى، **البيان**، ج٢، ص٦٤؛ النشار، **تأسيس مملكة البرتغال**، ص٣٣-٦٦.

(٧٥) **عبد الله بن فاطمة**: هو أبو محمد عبد الله بن فاطمة حاكم بلنسية ونواحيها، وقائدًا لقوات المرابطين في شرق الأندلس في سنة (٤٩٧هـ/ ١١٠٤م). ابن الآبار، **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، ص١١٤-١١٥.

(٧٦) سحر سالم، **تاريخ مدينة بطليوس**، ج٢، ص١٥١؛ النشار، **تأسيس مملكة البرتغال**، ص٥٣؛

Michael wolfe, Ivy Acorfis; The Medieval City Under Siege, R.Boydell Brewer,1999,P.20.

(٧٧) النشار، **تأسيس مملكة البرتغال**، ص٥٣؛

Jose Maria Lac; Alfonso el Batallad, Guara editorial,sa,P.51.

(٧٨) مليحة رحمة الله، "**الحياة الاجتماعية كما وردت في كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المغربي المراكشي**"، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٤٤)، ص١١١.

(٧٩) ابن أبى زرع، **روض القرطاس**، ص١٠٧؛ سحر سالم، **تاريخ مدينة بطليوس**، ج٢، ص١٥٣؛ النشار، **تأسيس مملكة البرتغال**، ص٥٥.

(٨٠) ابن أبى زرع، **روض القرطاس**، ص١٠٧؛ سحر سالم، مرجع سابق، ج٢، ص١٥٤.

(٨١) **أرنيط**: مدينة بالأندلس أولية بينها وبين تطيلة ثلاثون ميلاً، وحوالها بطاح طيبة المزارع، وهي قلعة عظيمة منيعة من أجل القلاع، وفيها بئر عذبة لا تترح، قد أنبطت في الحجر الصلد؛ وهذه القلعة مطلة على أرض العدو، وبينها وبين تطيلة ثلاثون ميلاً. الحميرى، **صفة الجزيرة**، ص١١.

(٨٢) المرجع السابق، ص ٣٧١ – ٣٧٢.

(٨٣) ليفي بروفنسال، **مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بن زيري بغرناطة**، المسمّاة بكتاب التبيان، نشر وحقق بجامع القرويين بفأس، ص١٧٤.

(٨٤) **محمد بن تومرت**: هو ابن تومرت من جنس بربرى ينتسب إلى قبيلة هرغة ومصمودة، حيث إنه محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا بن سفيون بن أنكيدس بن خالد، وأما نسبته العربية فهي أنه محمد بن بن عبد الله بن هود بن خالد ابن تما م.... بن محمد بن لحسن بن على بن أبى طالب ويؤكد هذا النسب ابن صاحب الصلاة وابن القطان. وقد نشأ في بيت نسك وعباده وشب قارئًا محبًا للعلم وكان يسعى في جدائته أسافور ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد التي يلازمها، وهو من أعظم الدعاة الدينين. لمزيد من التفاصيل، انظر: ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص ٧٦؛ عنان، **عصر المرابطين**، ص١٥٩-١٦٠.

(٨٥) للمزيد من التفاصيل، انظر: سحر سالم، المرجع السابق، ص١٤١-١٧٩.